العنف في المؤسسات التربوية

"مفهومه، أنواعه وأسبابه، آثاره المترتبة عليه، الشرائع السماوية ونبذها للعنف، وسائل الوقاية والعلاج

أ . م. سعادة حمدي سويدان
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الانبار
د. حيدر عبد الكريم محسن
مديرية تربية الانبار

المقدمة:

على الرغم من أهمية الانكباب على موضوع «العنف» في شتى مجالاته (عنف الرجل ضد المرأة، عنف الآباء ضد الأطفال، عنف المشغل ضد العامل)، فإن ما يمارس من عنف في مؤسساتنا التعليمية لم ينل الحظ الكافي من الدراسة والتحليل، وحتى ما أسهب فيه المحللون في هذا المجال يكاد يدور في نطاق مظاهر العنف التي يمارسها المربي على المتعلم، حيث يغدو المعلِّم/ المربِّي، من خلال هذا المنظور، رجلاً فضاً لا يرحم تلامذته، ويذيقهم أقسى العقوبات.

فقد كان هناك تركيز على ربط العنف بمرحلة معينة من التاريخ الدراسي وهو مرحلة التعليم الابتدائي مع المعلم أو ربما ما قبله مع الفقيه، وقلما نجد تركيزاً على مرحلة المراهقة، رغم أهمية المرحلة العمرية التي يمر بها التلاميذ، بصفتها مرحلة انتقالية من الطفولة إلى الرشد، يرافقها كثير من التغييرات الجسدية والنفسية التي تترك بصماتها العميقة في شخصية الفرد، وتكيفه مع المؤسسة والمجتمع والبيئة المحيطة به.

ذلك أن هناك حاجة ملحة للمربين وأولياء الأمور، ومن يتعاملون مع هؤلاء المراهقين إلى التعرف على خصائص شخصية المراهقين وما يرافقها من انفعالات مختلفة، بحيث يمكنهم التعامل معهم بوعي، ومساعدتهم لتجاوز مشكلاتهم النفسية، وانفعالاتهم الطارئة وردود فعلهم المختلفة، وعلى هذا الأساس، فإن الهدف الأساس من التعرض لقضية العنف المدرسي في مختلف المراحل الدراسية، هو إثارة الانتباه لهذه الظاهرة التي لم تعد مجرد حديث عابر نسمعه في الشارع وكفى، بل وصلت عدواها إلى مؤسساتنا التعليمية.

وقد تمظهرت أشكال ممارسة هذا العنف المادي من خلال فعل الضرب والجرح وإساءة الآداب، والعنف الرمزي ..(التحرشات المختلفة، استفحال ظاهرة الكلام النابي، تنامي السلوكات غير المتسامحة..)، كل هذا وغيره هو الذي وجب التنبيه إليه، والتحذير من مغبته، وبالتالي قرع ناقوس الخطر على المنحى

اللاتربوي الذي غدت تعرفه الكثير من مؤسساتنا التعليمية، فقد أصبح لمفهوم العنف حيزاً كبيراً في واقع حياتنا المعاش، فأصبح هذا المفهوم

يقتحم مجال تفكيرنا وسمعنا وأبصارنا ليل نهار، وأصبحنا نسمع العنف الأسرى والعنف المدرسي والعنف ضد المرأة والعنف الديني وغيرها من المصطلحات التي تندرج تحت أو تتعلق بهذا المفهوم.

إن المدرسة تعتبر إحدى أدوات المجتمع التي تحقق أهدافه التربوية من خلال جميع العادات السلوكية التي تؤمن للتلاميذ النمو السليم والمتكامل، إلى جانب الإعداد والتكيف للمستقبل، بعد الحصول على النجاح والانخراط في مؤسسات الدولة، أو مزاولة النشاط الاقتصادي. ويتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك في كثير من الأحيان، بحيث يتشكل من خلال التعليم ابرز ملامح المجتمع وتتحدد مكانته في السلم الحضاري، لذا على المدرسة تحقيق جميع ذلك من خلال وسائل وفلسفة تربوية، قائمة على أسس معرفية تقوم الجهات التربوية المختصة بتحديدها.

مشكلة البحث وأهمية حلها:

تعد ظاهرة العنف المدرسي من بين المشاكل العويصة التي أصبحت تعانيها منظومتنا التربوية، الأمر الذي لطالما أسفر عن ارتكاب مجموعة من الجرائم في حق تلاميذ، وأساتذة أيضاً؛ مما يدفعنا إلى التساؤل عن أسباب ظهور هذه الآفة الخطيرة التي لا زالت تهدد مناعة الجسم التربوي الدولي والوطني.

وإن المساهمة في حل هذه المشكلة ستدفع نحو تطوير العملية التعليمية في بلادنا، ذلك إن القضاء على العنف داخل أروقة المدرسة سيؤدي إلى انصراف الطلبة والمعلمين ومديري المدارس والمسؤولين إلى تجويد تلك العملية وسيعطي مجال الازدهار التربية والتعليم، وفي مجالات المجتمع المدني المنشود، إن خلق مدرسة تقوم على اللاعنف يعني في نهاية المطاف خلق شخص يحترم الإنسان وحقوقه، فالهدف الأساسي من التربية هو تحقيق النمو والتكامل والازدهار، هناك طوقاً تربوياً على الأقل نحو تفعيل التربية وعصرنتها وبث مفاهيم ديمقراطية في العملية التعليمية، ومن هذه المفاهيم إقامة علاقة إنسانية بين أركان التعليم خصوصاً بين المعلم والطالب واستلام ذلك طلب الوزارة صراحة بعدم استخدام أساليب العنف المادي واللفظي تجاه الطلبة، فضلاً عن نشر المئات من المرشدين التربويين في المدارس لتوجيه سلوك الطلبة وفهم مستوياتهم وحل مشاكلهم بأساليب تربوية حديثة بعيداً عن الأساليب القديمة، ومعنى ذلك إن رأس الهرم التربوي والمتمثل بوزارة التربية يتفق مع اللاعنف في المدارس، لكن المشكلة تظل كامنة في الطالب والمعلم والمدير كونهم مواطنين مازالوا يتأثرون بالمجتمع الذي يعيشون فيه.

فالمؤسسة التربوية في مجتمعنا العربي تعاني من مشكلات معقدة ذات أبعاد تاريخية متراكمة (١)، فما زالت التربية في كثير من الدول العربية في وضعها التقليدي فهي الـ تستجيب لمطالب التغيير التي يفرضها العلم وتطبيقاته المعاصرة وهذا هو السر في تكامل البناء التربوي في البلدان المتقدمة صناعياً (٢)، وأكثر مدارسنا لا تشعر بالمثل الأعلى الذي يجب عليها تحقيقه في تربية النشئ وحال بعضها في ذلك كحال الأفراد الذين يجهلون أهداف أعمالهم فكأن المدارس أشباح بدون أرواح.

إن كثيراً من المثقفين العرب والعراقيين يؤكدون على مسألة أن التعليم في الوطن العربي يستهدف تخريج موظفين أو انه تعليم تلقيني شكلي. (٣)

الهدف من البحث:

هو التعرف على عوامل انتشار العنف بين الشباب، ومظاهر هذا العنف والدور الذي تلعبه الإدارة التعليمية والأسرة وجماعة الأقران ووسائل الإعلام في تعليم أو إكساب الشباب نمطاً من السلوك العنيف، ومن ثم التوصل إلى آليات لعلاج هذه الظاهرة الهدامة.

المبحث الأول

نظرة عامة عن العنف

المفهوم اللغوي للعنف:

العنف في معناه اللغوي ضد الرفق، وعنفوان الشيء: أوله، وهو في عنفوان شبابه: أي قوته، وعنَّفه تعنيفاً: لامه وعتب عليه (٤). مما يعني أن العنف ضد الرأفة متمثلاً في استخدام القوة القولية أو الفعلية ضد شخص آخر.

وقد جاءت بعض الأحاديث النبوية الشريفة لتجعل الرفق مقابل العنف؛ فقال (ﷺ): إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه (٥). وقال (ﷺ): "من يحرم الرفق يُحرم الخير" (٦)، فالعنف في اللغة: هو كل قول أو فعل ضد الرأفة والرفق واللين.

المفهوم الاصطلاحي للعنف:

يتمثل العنف التربوي بسلسلة من العقوبات الجسدية والمعنوية المستخدمة في تربية الأطفال والتي تؤدي بهم إلى حالة من الخوف الشديد والقلق الدائم، والى نوع من العطالة النفسية التي تنعكس سلباً على مستوى تكيفهم الذاتي والاجتماعي ويتم العنف التربوي باستخدام الكلمات الجارحة التبخيسية واللجوء إلى سلسلة من مواقف التهكم والسخرية والأحكام السلبية إلى حد إنزال العقوبات الجسدية المبرحة بالطفل والتي

من شأنها أن تكون مصدر تعذيب واستلاب كامل لسعادة الأطفال في حياتهم المستقبلية، فالعنف يتضمن عدم الاعتراف بالآخر ويصاحبه الإيذاء باليد أو باللسان أي بالفعل بالكلمة وهو يتضمن ثلاث عناصر (الكراهية – التهميش – حذف الآخر).

والعنف سلوك غير سوي نظراً للقوة المستخدمة فيه والتي تنشر المخاوف والأضرار التي تترك أثرا مؤلماً على الأفراد في النواحي الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي يصعب علاجها في وقت قصير، ومن ثم فإنه يدمر أمن الأفراد وآمان المجتمع.

لقد أخذ مفهوم العنف الكثير من وقتنا وأصبح جزءاً من واقعنا المعاش واقتحم مجال سمعنا وإبصارنا ليل نهار ونسمع في كل يوم العنف الأسري والعنف ضد المرأة والعنف الديني والعنف المدرسي وغيرها من مصطلحات تحت نفس المفهوم، لذا يمكن السؤال هنا: هل العنف المدرسي والمتمثل بـ(العنف من قبل المعلمين تجاه التلاميذ أو من قبل التلاميذ تجاه المعلمين أو من قبل التلاميذ تجاه بعضهم البعض) هي إحدى الوسائل ضمن الفلسفة التربوي التي من خلالها يمكن بناء الجيل الجديد؟ إن مفهوم العنف هو عكس مفهوم التربية وذلك لان التربية هي بناء الإنسان وتكوين ملامحه النفسية وكسبه الثقة بالنفس وتكوين مفهوم ايجابي تجاه الذات واتجاه الآخرين.

هو كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، قد يكون الأذى جسمياً أو نفسياً، فالسخرية والاستهزاء من الفرد وفرض الآراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة، وقد أجمله (الزهراني) بأنه: (السلوك الذي يقصد به إيذاء الآخرين بدنياً أو مادياً) (٧).

الحدود القانونية للعنف:

في إطار التشريعات الجنائية، تصدى فقهاء القانون الجنائي لتعريف العنف (٨) في إطار نظريتين تتنازعان مفهوم العنف: النظرية التقليدية، حيث تأخذ بالقوى المادية بالتركيز على ممارسة القوة الجسدية، أما النظرية الحديثة – التي لها السيادة في الفقه الجنائي المعاصر – فتأخذ بالضغط والإكراه الإرادي، دون تركيز على الوسيلة، وإنما على نتيجة متمثلة في إجبار إرادة غيره بوسائل معينة على إتيان تصرف معين.

وعلى ضوء ما سبق عرف البعض العنف بأنه المسُّ بسلامة الجسم ولو لم يكن جسيماً بل كان صورة تعدٍّ وإيذاء (٩)، كما يعرفه آخر بأنه: تجسيد الطاقة أو القوى المادية في الإضرار المادي بشخص آخر (١٠)، بينما يعرفه آخر بأنه الجرائم التي تستخدم فيها أية وسيلة تتسم بالشدة للاعتداء على شخص الإنسان أو عِرضه، ولا يتحقق العنف في جرائم الاعتداء على الأموال إلا باستخدام الوسائل المادية (١١).

وعليه فإن تعريف العنف في التشريعات الجنائية: هو كل مساس بسلامة جسم المجني عليه، من شأنه إلحاق الإيذاء به والتعدي عليه.

نظرة تاريخية للعنف:

ولو تصفحنا أوراق التاريخ، لوجدنا هذا المفهوم صفة ملازمة لبني البشر على المستوى الفردي والجماعي، بأساليب وأشكال مختلفة تختلف باختلاف التقدم التكنولوجي والفكري الذي وصل إليه الإنسان، فنجده متمثلا بالتهديد، والقتل، والإيذاء، والاستهزاء، والحط من قيمة الآخرين، والاستعلاء، والسيطرة، والحرب النفسية، وغيرها من الوسائل، والاتجاه نحو العنف نجده في محيط سلوكيات بعض الأفراد، كما نجده في محيط سلوكيات بعض

الجماعات في المجتمع الواحد، كما يوجد في محيط المجتمعات البشرية، وهو يوجد في مختلف الأوقات، وقد تزداد نسبة العنف في مجتمع معين وقد تنقص، كما تختلف قوته من مجتمع إلى مجتمع ومن زمن إلى زمن، وقد تكون صور التعبير عن العنف عديدة ومتباينة لأن الناس مختلفون ومتباينون، كما أن الناس يعيشون في ظل مناخات ثقافية وسياسية واقتصادية مختلفة.

ولقد بدأ الاهتمام العالمي بظاهرة العنف سواء على مستوى الدول أو الباحثين أو العاملين في المجال السلوكي والتربوي أو على مستوى المؤسسات والمنظمات غير الحكومية في الآونة الأخيرة في التزايد ولا سيما بعد تطور الوعي النفسي والاجتماعي بأهمية مرحلة الطفولة وضرورة توفير المناخ النفسي والتربوي المناسب لنمو الأطفال نموا سليما وجسديا واجتماعيا لما لهذه المرحلة من أثر واضح علي شخصية الطفل في المستقبل، بالإضافة لنشوء العديد من المؤسسات والمنظمات التي تدافع عن حقوق الإنسان والطفل، وقيام الأمم المتحدة بصياغة اتفاقيات عالمية تهتم بحقوق الإنسان عامة وبعض الفئات خاصة الأطفال وبضرورة حماية الأطفال من جميع أشكال الإساءة والاستغلال والعنف التي يتعرض لها الطفل في زمن السلم والحرب.

المبحث الثاني

أنواع العنف التربوي وأسبابه

إن الذين يستخدمون أسلوب العنف التربوي لا يعدونه غاية بحد ذاته، بل وسيلة يعتمدونها من أجل توجيه الأطفال وتربيتهم، وفقاً لنموذج اجتماعي وأخلاقي حددوه منذ البداية.

واللجوء إلى العنف التربوي، والى التسلط في العملية التربوية يعود إلى أسباب اجتماعية ونفسية وثقافية متنوعة، تدفع المعلمين أو الآباء إلى ممارسة ذلك الأسلوب، وأبرز تلك الأسباب:

١ – الجهل التربوي بتأثير أسلوب العنف: وهذا السبب يحتل مكان الصدارة بين الأسباب، ولو أدرك الآباء والأمهات ما لأسلوب التسلط من آثار سلبية على شخصية الطفل ومستقبله، فإنهم مما لا شك فيه، تجنبوا ما أمكنهم استخدام ذلك الأسلوب، فالوعي التربوي والنفسي بأبعاد هذه المسألة أمر حيوي وأساسي في خنق ذلك الأسلوب واستئصاله.

٢ – إن ما يعزز استخدام الإكراه والعنف في التربية، الاعتقاد بأنه الأسلوب الأسهل في ضبط النظام والمحافظة على الهدوء، ولا يكلف الكثير من العناء والجهد.

٣ – بعض المعلمين ينتمون إلى أوساط اجتماعية تعتمد التسلط والإكراه في التربية، وهم في المدرسة يعكسون حالتهم هذه.

٤ – بعض المربين لم تسنح لهم فرصة الحصول على تأهيل تربوي مناسب، فهم بذلك لا يملكون وعياً تربوياً بطرق التعامل مع الأطفال وفقاً للنظريات التربوية الحديثة.

٥ – المعلم بشكل عام يعيش ظروفاً اجتماعية تتميز بالصعوبة الحياتية، إضافة إلى الهموم والمشكلات اليومية التي تجعله غير قادر على التحكم بالعملية التربوية، إذ يتعرض للاستثارة السريعة والانفجارات العصبية أمام التلاميذ.

٦ – زوال القدوة التعليمية: المتغيرات الاقتصادية التي يواجهها المدرس، وانتشار ظاهرة الدروس الخصوصية التي أفقدت المعلم هيبته وأصبح أداة في يد الطالب وولي الأمر.

٧ – إن الأبحاث التربوية المعنية بدراسة العلاقة التربوية بالمدرسة تؤكد بأن المعلم المتسلط هو المعلم الذي يتحقق لديه مستوى الكفاءة العلمية والتربوية معاً، لكن هذه النظرة في الوقت الحاضر أصبحت خاطئة فإن المعلم الديمقراطي، هو المعلم المتمكن والمؤهل وهو وحده الذي يستطيع أن يعتمد على الحوار الموضوعي في توجيه طلابه وتعليمهم ، دون اللجوء إلى العنف.

٨ – فقر المدارس لمجالات الترقية التي تخفف من التوترات الاجتماعية المعاشة يومياً.

٩ – انعدام التوازن بين فترات الدراسة و فترات العطل.

١٠ – فقر المؤسسات التعليمية لمختصين نفسانيين واجتماعيين.

١١ – إشكالية العقاب البدني التي أثارت جدلاً كبيراً بين القرار الوزاري الذي يرفض و يمنع ممارسة العقاب الجسدي على التلاميذ؛ وغياب بديل يعدل من السلوكيات غير المنضبطة لبعض التلاميذ المشاغبين في أقسام الدراسة.

١٢- إن أسلوب التسلط يعد انعكاساً لشخصية الأب والأم، بما في ذلك جملة الخلفيات التربوية والاجتماعية التي أثرت عليهم في طفولتهم، أي انعكاس لتربية التسلط التي عاشوها بأنفسهم عندما كانوا صغاراً.

أما على مستوى الأسرة فإن التلميذ يتعرض فيها أيضاً إلى أخطاء تربوية قاتلة، تجعل التلميذ يشعر كأنه محاصر أو مضطهد، مما يجعله عرضة للاستغلال من قبل بعض ضعاف النفوس، الذين يغمرونه بالعاطفة الوهمية ويقومون باستغلاله بطرق مختلفة، وحتى بعض الأسر التي تدرك التأثير السلبي للعقوبة الجسدية وتمتنع عن استخدامها، فإنها تقوم باستخدام العقاب المعنوي من خلال اللجوء إلى قاموس من المفردات النابية، ضمن إطار التهكم والسخرية والاستهجان اللاذع، وللعقوبة المعنوية اثر في النفس أقوى من العقوبة الجسدية بكثير، وتجدر الإشارة إلى أن الظروف الاجتماعية الصعبة التي تحيط بالوالدين في إطار العمل وإطار الحياة الاجتماعية، قد تؤدي إلى تكوين شحنات انفعالية يتم تفجيرها وتفريغها في إطار الأسرة، وكل ذلك ينعكس سلباً على حياة الأطفال وعلى نموهم الاجتماعي والنفسي.

ولعل مما يجدر الإشارة إلى أن وزارة التربية منذ إحداثها حافظت على مصطلح التربية، إيمانا منها بالتوجه التربوي للتعليم، فنحن نعلم لنربي، و نعلم للحياة وللنهوض بالفرد و تطوير نمط عيشه وطريقة تعامله مع الأشياء، فالتربية هي الرهان الاستراتيجي للعملية التعليمية، ولكن مع هذا يجب الإقرار بوجود فراغ و هوة بين دور التعليم وهدفه التربوي، ولا يجب في هذا الباب الانتقاص من دور المؤسسة التربوية التي مازالت إلى اليوم تقوم بدور فعال في تربية وتنشئة الأجيال، لكن هذه المؤسسة لا تستطيع لوحدها تحمل العبء كله، في ظل تطور العوامل المساهمة في التربية وخاصة ظاهرة استقالة الأولياء والتأثر بالمظاهر السلبية التي تقدمها وسائل الاتصال، وبروز أشكال جديدة من الانحراف السلوكي، ومع ذلك يجب الإقرار بحتمية تطوير الحياة المدرسية و النشاط الثقافي.

العنف الممارس من الطالب:

وفي نظرة شمولية للبيئة المدرسية نجد أن هناك أنواع أخرى من العلاقات التي تتسم بالعنف، غير علاقة المعلم بتلاميذه، وهي:

١- علاقة الطالب ببقية الطلبة:

تتعدد مظاهر العنف التي يمارسها الطلبة فيما بينهم، إلا أنها تتراوح بين أفعال عنف بسيطة وأخرى مؤذية ذات خطورة معينة، ومن بين هذه المظاهر:

أ- اشتباكات الطلبة فيما بينهم والتي تصل، أحياناً، إلى ممارسة فعل العنف بدرجات متفاوتة الخطورة.

ب- الضرب والجرح.

ج- إشهار السلاح الأبيض أو التهديد باستعماله أو حتى استعماله.

د- التدافع الحاد والقوي بين التلاميذ أثناء الخروج من قاعة الدرس.

هـ- إتلاف ممتلكات الغير، وتفشي اللصوصية.

و- الإيماءات والحركات التي يقوم بها التلميذ والتي تبطن في داخلها سلوكاً عنيفاً.

٢- علاقة التلميذ بالأستاذ:

لم يعد الأستاذ بمنأى عن فعل العنف من قبل الطالب، فهناك العديد من الحالات في مؤسساتنا التعليمية ظهر فيها التلميذ وهو يمارس فعل العنف تجاه أستاذه ومربيه، وتكثر الحكايات في مجامع رجال التعليم ولقاءاتهم الخاصة، إنها حكايات من قبيل: الأستاذ الذي تجرأ على ضرب التلميذ، وهذا الأخير الذي لم يتوان ليكيل للأستاذ صفعة أقوى أمام الملأ، أو أن يضرب الطالب أستاذه، في غفلة من أمره، ثم يلوذ بالفرار خارج القسم، أو أن يقوم التلميذ بتهديد أستاذه بالانتقام منه خارج حصة الدرس، حيث يكون هذا التهديد مصحوباً بأنواع من السب والشتم البذيء في حق الأستاذ الذي تجرأ، ومنع الطالب من الغش في الامتحان... الخ.

وهذا ما تؤكده العديد من تقارير السادة الأساتذة حول السلوك غير التربوي لعينة من الطلبة المشاغبين، وكلها تقارير تسير في اتجاه الاحتجاج على الوضع غير الآمن لرجل التعليم في العديد من الدول العربية خصوصا تلك الدول غير المستقرة سياسياً مثل العراق.

٣- علاقة الطالب برجل الإدارة:

قد يكون رجل الإدارة هو الآخر، موضوعاً لفعل العنف من قبل الطالب، إلا أن مثل هذه الحالات قليلة جداً، ما دام الإداري، من وجهة نظر التلميذ، هو رجل السلطة، الموكول له تأديب التلميذ وتوقيفه عند حده حينما يعجز الأستاذ عن فعل ذلك ، وهذا ما يحصل مراراً وتكراراً في يوميات الطاقم الإداري، فكل مرة يُطلب منه أن يتدخل في قسم من الأقسام التي تعذر على الأستاذ حسم الموقف التربوي فيه.

أنواع العنف بحسب طبيعته:

١ – العنف البدني أو الجسدي:

يقصد بالعنف البدني السلوك العنفي الموجه نحو الذات أو الآخرين لإحداث الألم أو الأذى أو المعاناة للشخص الآخر (١٢)، ومن أمثلة العنف البدني الضرب، أو الدفع، والركل، وشد الشعر، والعض، وهذا النوع من العنف يرافقه غالباً نوبات من الغضب الشديد ويكون موجهاً ضد مصدر العنف.

٢ – العنف اللفظي:

وهو في مجمله عنف لغوي، فيه خروج عن النواميس ولغة الاستعمال العادية، فهو كما يتضح من تسميته، يكون باللفظ، فوسيلة العنف هنا هي الكلام، وكالعنف البدني، يهدف هذا النوع من العنف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم من طريق الكلام والألفاظ الغليظة النابية (١٣)، وينقسم إلى صنف فيه سباب بإيحاءات جنسية و صنف فيه سباب ديني، وهذه ظواهر فسرها علم الاجتماع بفقدان الوازع الاجتماعي وضعف الدور التربوي في ظل تغير صورة القدوة، و فسرها علم النفس بالكبت.

٣ – العنف غير اللفظي:

وذلك بتحقير الآخرين و الاستهزاء بهم والسخرية منهم و الإهمال والتفرقة والتمييز، ومنه العنف الحركي من خلال القيام بحركات غير لائقة، والتخويف والميل للمجموعات العنيفة.

٤ – العنف المجسد:

يعتبر العنف المجسد كل كتابة أو رسم يتضمن إيحاءات جنسية أو عنصرية، يقترفه الطلبة على جدران المدرسة أو داخل المراحيض أو على أغلفة كتبهم وكراريسهم، وهي وسائل موجهة إما لزملائهم ممن يعتبرون "أعداء" لهم أو لأساتذتهم ومعلميهم، وعادة ما تتضمن هذه الكتابات والرسوم تهديدات تصل إلى "الانتقام" وتشويه السمعة والتحريض ضد الطلبة والأساتذة.

٥ – العنف المنظّم:

هو نوع جديد من العنف أبطاله مجموعات من الطلبة منظمون في شكل عصابات عادة ما يتزعمها تلميذ يتميز بنزعة عدوانية، وتقوم هذه العصابات بترويع بقية الطلبة وابتزازهم وإجبارهم على دفع بعض الأموال والتنازل عن ملابسهم الباهظة الثمن، والاستيلاء على هواتفهم الجوالة، وسلبهم الأشياء الثمينة كالساعات وأجهزة الحاسوب، وعادة ما تتعامل هذه العصابات المنظمة مع أشخاص من خارج المحيط المدرسي ممن عرفوا بسوابقهم العدلية لزيادة الضغط على زملائهم من بقية التلاميذ للإذعان إلى طلباتهم.

٦- العنف الجنسي:

لقد تداخلت العلاقات بين التلاميذ داخل الفضاء المدرسي إلى درجة مواصلة التعايش فيما بينهم خارج الإطار المدرسي كارتياد قاعات السينما وقاعات الألعاب والمقاهي والفضاءات العامة والملاعب، ونظراً لطبيعة المرحلة العمرية، ولَّد هذا التعايش سلوكيات جديدة أدت في الكثير من الأحيان إلى مآسي اجتماعية كالاغتصاب، وهو ما يعتبره علماء النفس والاجتماع نوعاً جديداً من العنف المدرسي صنفوه بالعنف الجنسي، وقد أخذ هذا النوع من العنف أشكالاً متعددة كالتلفظ البذيء والملامسة والاعتداء على أماكن حساسة في الجسد وحتى التقبيل بالإكراه (التحرش الجنسي)، وبإمكان هذا النوع أن يتطور إلى الاغتصاب في بعض الحالات.

٧- العنف الاتصالي:

إن انتشار وسائل الاتصال بين الطلبة من هواتف جوالة وحواسيب محمولة، وانخراط الآلاف منهم في فضاءات التواصل الاجتماعي، ساهم في ظهور نوع جديد من العنف أصبح متداولاً بكثرة فيما بينهم، كتوجيه رسائل التهديد عبر الهواتف الجوالة أو إنشاء صفحات على شبكات "التواصل الاجتماعي" للتحريض على زميل لهم وتشويه سمعة أحد المدرسين، وحتى نشر الصور الفاضحة والتهديد وبث الرعب.

٨- العنف الرياضي:

لقد ساهم التعصب الرياضي الذي نشهده منذ سنوات، وظاهرة العنف في الملاعب الرياضية في انتشار نوع جديد من العنف، مصدره مجموعات من الطلبة من مشجعي الفرق الرياضية، والذين حوَّلوا الفضاء المدرسي إلى ساحات لتبادل العنف اللفظي والجسدي دفاعاً عن فرقهم الرياضية.

أسباب عنف الطالب:

يمكننا إجمال الأسباب التي تجعل من الطالب شخصية عنيفة، تحاول الانتقام بطرق غير حضارية، وتجاوز القوانين والأعراف العامة بالتالي:

١- قسوة المعلمين واستخدامهم للعقاب.

٢- إدارة مدرسية تسلطية.

٣- ممارسة العنف من قبل المعلمين أمام الطلبة سواء تجاه بعضهم البعض أو تجاه الطلبة.

٤- ضيق المكان حيث أن المساحة المحدودة تولد التوتر النفسي والاحتكاك البدني.

٥- إهمال الوقت المخصص لحصص الأنشطة البدنية.

٦- عدم توافر الأنشطة المتعددة والتي تشبع مختلف الهوايات والميول.

٧- استخدام الأسلوب التقليدي في التدريس القائم على تقييد حركة الطلبة في الحصة (الحفظ والتسميع – عدم توافر الأنشطة – الطالب متلقي فقط – استخدام العقاب كوسيلة تربوية وغيرها من الأساليب التقليدية).

٨- وجود مدرسة في منطقة مهملة أو حدودية أو محاطة بوسط اجتماعي مفكك.

٩- الروتين والمناخ المدرسي المغلق يساعد على عدم الرضا والكبت والقهر والإحباط، مما يولد تصرفات عنيفة عند الطلاب.

١٠- طرق التقويم المتبعة التي لا تعطي فرصة للجميع بالتعلم والنجاح، بل تولد أحيانا المنافسة السلبية والإحباط والعدوان.

١١- عدم وضوح القواعد والضوابط التي تحدد قواعد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب بشكل واضح.

١٢- عدم وجود فريق عمل متخصص يعمل على دراسة ظاهرة العنف والتعامل معها بشكل مخطط، من خلال دراسات ميدانية ترتكز على العمل الإحصائي و الاستقصائي المحدّد لمواطن تفشيها المكانية و الزمانية.

١٣- عدم التعامل الفردي مع الطالب، وعدم مراعاة الفروق الفردية داخل الصف.

١٤- عدم السماح للطالب بتعبير عن مشاعره فغالباً ما يقوم المعلمون بإذلال الطالب وإهانته إذا أظهر غضبه.

١٥- التركيز على جوانب الضعف عند الطالب والإكثار من انتقاده.

وبالرغم من أهمية وواقعية الأسباب السابقة إلا أن علماء الاجتماع والنفس الاجتماعي يكاد يجمعون على أن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن تكوين شخصية الطفل من النواحي العقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمانية والاجتماعية والنفسية، وإذا كان لبعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى دور في عملية التنشئة الاجتماعية، فإنه دور ثانوي لأنه يأتي في مرحلة زمنية لاحقة على السنوات التكوينية الأولى التي يعيشها الطفل في أحضان أسرته (١٤)، ومن أسباب سلوك العنف التي ترجع إلى الأسرة، ما يلي (١٥):

١- التفكك الأسري.

٢- التدليل الزائد من الوالدين.

٣- القسوة الزائدة من الوالدين.

٤- عدم متابعة الأسرة للأبناء.

٥- الضغوط الاقتصادية.

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على الطالب جرّاء العنف

إن العنف بوصفه ظاهرة مدرسية، هو تعبير عن خلل في السياق التربوي يدفع المربي لاستخدام العنف متوهماً أن خيار العنف والقوة هو الخيار الأمثل، وفي حقيقة الأمر إن استخدام العنف والقوة في المجال التربوي، تحت أي مسوغ كان، يعد من الأسلحة الخطيرة، التي تقوّض الكثير من مكاسب المجتمع، وإنجازات الأمة والوطن؛ لأن العنف بتداعياته المختلفة سيصنع شخصية غير مستقرة.

كما أن العنف نقيض للتربية فهو يهدر الكرامة الإنسانية، لأنه يقوم علي تهميش الآخر وتصغيره والحط من قيمته الإنسانية التي كرمها الله، وبالتالي يولد إحساساً بعدم الثقة وتدني مستوى الذات وتكوين مفهوم سلبي تجاه الذات والآخرين والعنف الذي يمارس تجاه الطالب لا يتماشى مع أبسط حقوقه وهو حرية التعبير عن الذات لأن العنف يقمع هذا الحق تحت شعار التربية.

ويمكن إجمال الآثار المترتبة على استخدام العنف ضد الطلبة بما يلي:

١ – تدني مستوى التحصيل الدراسي.

٢ – الهروب من المدرسة.

٣ – التأخر عن المدرسة.

٤ – التسرب الدراسي.

٥ – كراهية المدرسة والمعلمين وكل ما له علاقة بالعملية التعليمية.

٦ – تهديد الأمن النفسي للطفل يؤدي إلي القضاء على فرصة التفكير الحر والعمل الخلاق.

٧ – العنف فلكل فعل رد فعل، ويكون ذلك إما بالعنف على مصدر العنف نفسه، أو على طفل أخر أو في صورة تحطيم الأثاث المدرسي.

٨ – الكذب: حيث يميل الطالب للكذب كهروب من موقف التعنيف.

٩ – المخاوف: الخوف من المعلم، الخوف من المدرسة، مخاوف ليلية.

١٠ – العصبية والتوتر الزائد الناتج عن عدم إحساسه بالأمان النفسي.

١١ – تشتت الانتباه وعدم القدرة على التركيز.

١٢ – اللجوء إلي الحيل اللاشعورية، مثل التمارض والصداع والمغص؛ لرغبته في عدم الذهاب للمدرسة لارتباطها بخبرات غير سارة.

١٣ – تكوين مفهوم سلبي تجاه الذات وتجاه الآخرين.

١٤ – العديد من المشكلات: التبول اللاإرادي، الانطواء، مشاعر اكتئابية .

المبحث الرابع

الشرائع السماوية ونبذها للعنف

يعد العنف ظاهرة سلوكية وجدت منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض ويرجع تاريخها إلى المجتمع الإنساني الأول منذ حادثة قابيل مع أخيه هابيل وشهدت البشرية مظاهر متعددة من القسوة البربرية، فالعنف لا يولّد إلا العنف لكونه يتنافى مع طبيعة التكوين البشري.

وقد تناولت الديانات السماوية بصورة مختلفة موضوع العنف، فالدين المسيحي يرفض العنف بأشكاله المختلفة، كما يذكر إن السيد المسيح (عليه السلام) قد رفض الغضب والعنف على أنواعه (اللفظي والجسمي) قائلاً لنا سمعتم أنه قيل لآبائكم: لاتقتل، فمن قتل يستوجب حكم القاضي، أما أنا أقول لكم من غضب على غيره باطلاً استوجب حكم القاضي، ومن قال لغيره، يا أحمق استوجب حكم المجلس، ومن قال له يا جاهل استوجب نار جهنم.

وإن مشكلة العالم لا تكمن في قوة أعدائه، وما يخططون له من مؤامرات، وإنما تكمن مشكلته في ما يحمله هذا المجتمع بالذات من رواسب ثقافية سلبية، لابد من التخلص منها بجراحة ثقافية تخلصه من العوامل المعوقة لحركته ونشاطه وإعادة الفعالية إليه باستخدام القانون الاجتماعي الحتمي الذي تتضمنه الآية الكريمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾ (الرعد: ١١) مع استخدام المعطيات المعاصرة لآيات الله في الآفاق والأنفس التي أظهرها الله للبشر.

إنّ التحدي الذي يواجهه العالم اليوم يستدعي توطين النفس لمواجهة هذا التحدي من قبل كلا من المستكبرين والمستضعفين في الأرض، أن يتجاوز بأكبر عملية تغيرية في النفس للتخلص من الاستكبار والاستضعاف، لذا لابد للشباب المؤمن أن يتسلحوا بالعلم والصبر والاطمئنان ليؤدوا دورهم المقدس مدركين ما يحتاج إليه تأهيل الذات للقيام بهذه الوظيفة من جهود فكرية مضنية.

إن الله (سبحانه وتعالى) هو السلام ودينه الإسلامي هو دين السلام، ونبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نبي السلام الداعي إلى التراحم، المبعوث رحمة للعالمين، فكل تعاليم الإسلام الموجودة سواء في القرآن الكريم أو التي وردت على لسان النبي أو من جوارحه كانت تترجم سلوكاً إنسانياً رفيعاً في التعامل مع الإنسان تكريماً وسمواً، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، تحارب الفساد وتدعو إلى الفضيلة فالرحمة والعفو والتسامح، هي المبادئ التي دعا الإسلام إليها، ولذا كرّه الإسلام إلينا العنف، وجعل من مبادئه حوافز تنفر من الظلم بأنواعه الشتى والتي

يشكل العنف جزءاً منها، والرسول يقول (ﷺ) بصريح العبارة "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على سواه" (صحيح مسلم).

إن التربية الإسلامية تتأسس على اللطف والتسامح والتعامل باللين مع كل الكائنات الحية، بما في ذلك الثمر فهذا أبو بكر الصديق (ﷺ) يوصي قائد جيشه يزيد عن أبي سفيان قائلاً: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاه ولا بعيراً إلا لمأكله، ولا تحرق نخلاً ولا تغرقنه، ولا تغلل ولا تجبن، وانك ستجد قوماً حسبوا أنفسهم لله، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له. (تنوير الموالك، ج٢، ص٦).

ويدعو الإسلام أول ما يدعو إلى اللين والرفق والرحمة وحسن المعاملة، وهذه الأمور الأصل وهي التي يجب أن تسود في المجتمع السليم القويم، ولكن يطرأ على المجتمعات الإنسانية الانحرافات والسلبيات منها: العنف والعقاب البدني، ويمكن أن نوضح موقف الإسلام من العنف والعقاب البدني فقد حث الإسلام على) إلى أن ﷺاللين والرحمة ولا يجتذبها إلا الشيء الحسن الجميل وأنها تنفر من كل قبيح معيب، ويرشدنا (إنجاح الدعوة الإسلامية متوقف على الرفق والرحمة وأن القسوة والعنف تحولان دون اتجاهها

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ

ويقول في موضع آخر ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥)،

إلى غير ذلك عشرات الآيات الكريمة التي تحث على اللين والرفق والرحمة وحسن المعاملة وتنفر من العنف والإكراه.

هناك المئات من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على اللين والرفق والرحمة وحسن المعاملة وتنفر من القسوة والعنف والفحش والفظاظة، فيقول الرسول الكريم (ﷺ): إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه (رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، ويقول (ﷺ) في حديث آخر، (إن الله رفيق يحب الرف ويعطي الرفق مالا يعطي على سواه) (رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، ومعناه يعطي على الرفق أي يثيب عليها مالا يثيب على غيره وفي رواية أخرى، (عليك بالرفق وإياك العنف والفحش، وإن الرفق لا

يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه، وفي حديث نبوي ثالث، (من يحرم الرفق يحرم الخير) (رواه مسلم عن الصحابي جرير بن عبد الله (ﷺ))، وفي حديث رابع، (الرفيق يمن والخرق شؤم) ومعنى الخُرق بضم الخاء: الجهل والحمق والقسوة والفظاظة.

وذكر القرآن الكريم آيات قرآنية تنهي عن العنف، منها:

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴿١١﴾ ﴾ (الحجرات: ١١)

ففي هذه الآية ينهي المولى (ﷻ) عن السخرية والازدراء كما ينهي أن يطلق الشخص على الأخر ألقاباً جارحة منفرة، هذه كلها من أشكال العنف اللفظي لان كلم اللسان أنكى وأشد من كلم السنان.

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

٣. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

٤. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٨).

٥. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ (النساء: ١٤٨).

إذا كان الباحثان ينظران إلى أن العنف إما أن يكون جسدياً أو لفظياً أو رمزياً فإنه وبنظرة فاحصه في الآيات القرآنية التي سبق إيرادها يتضح أن الإسلام يرفض العنف المادي في كل صورة وأشكاله.

كما إن الآيات السابقة ما يدل على تحريم العنف الجسدي أو البدني سواء كان بالقتل أو الزنا أو أي فعل من شأنه أن يلوث العرض ويهدد حرمته، كما حرم الإسلام ونهى عن كل صور العدوان الجسدي وغيره،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

كما يرفض الإسلام العنف البدني أو الجسدي بكافة أشكاله ومظاهرة فإنه يرفض العنف اللفظي بكل أشكاله ومظاهرة أيضاً ومن الأدلة على ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ ﴾ (النساء: ١٤٨).

كما بين (ﷺ) بأن شتم المسلم لغيره يعتبر من الإثم فسوقاً، وان قتاله يعتبر كفراً بقوله، (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (متفق عليه عن الصحابي عبد الله بن مسعود (ﷺ)).

المبحث الخامس

وسائل الوقاية والعلاج

لا يكفي الوقوف عند حدود تعريف الظاهرة أو جرد بعض مظاهرها، بل يحتاج الأمر بحثاً جدياً وميدانياً لمعرفة كيفية التعاطي الإيجابي مع هذه الظاهرة التي تستشري يوماً عن يوم في مؤسساتنا التعليمية، وهذا الأمر لن يتم بدون تحديد المسؤوليات والمهام المنوطة بكل الفاعلين التربويين؛ لمواجهة هذا الداء الذي ينخر كيان مؤسساتنا التعليمية من الداخل، فتكاثف الأدوار وتعاضدها وتكامل جهود القائمين بتخفيف حدة هذه الظاهرة، وذلك في أفق القضاء التدريجي على مسبباتها، وبالتالي فإن المطلوب منا كفاعلين تربويين، وأولياء أمور، وواضعي البرامج التربوية؛ معالجة هذه الظاهرة السلوكية المنحرفة، والتغلب عليها بأقل الخسائر.

وانسجاما مع المقولة الشهيرة " الوقاية خير من العلاج " يمكن مواجهة ظاهرة العنف المدرسي بطريقتين أو أسلوبين هما:

الأول: الأسلوب الوقائي:

للوقاية من العنف يلزم التصدي للعوامل المؤدية إليه ومعالجتها بصورة علمية، ويجب أن تركز الجهود الوقائية على مرحلتي الطفولة والمراهقة نظراً لأن السلوك العنفي يتكون في غالبيته من خلال عملية تطويرية، تبدأ عادة في مراحل الطفولة المبكرة (١٦) فالأسلوب الوقائي هو تحاشي العوامل المسببة للعنف، ويتم ذلك على سبيل المثال لا الحصر عن طريق تكريس ثقافة نبذ العنف، وذلك من خلال نشر قيم التسامح وحقوق الإنسان انطلاقاً من عقيدتنا السمحة أو من المبادئ المتعارف عليها عالمياً، والتي لا تتعارض مع قيمنا وثوابتنا.

وقد يكون التشخيص المبكر لحالات المتعلمين الممارسين للعنف مهما ومجديا قبل استفحاله وتحوله إلى معضلات مستعصية عن الحل، ولا يخلو التركيز على أساليب التعزيز من فوائد في الوقاية من العنف، والنجاح في التواصل والإصغاء والتعاطف من شأنها جميعاً أن تقي من العنف المدرسي.

وموازاة مع هذه الإجراءات الوقائية، لابد من الاشتغال عبر ورشات ولقاءات تضم كل من لهم علاقة بالمتعلمين الممارسين للعنف كالآباء والأولياء والمربين على اختلاف فئاتهم، مع الاستعانة بالخبراء أصحاب الخبرة ذات الصلة المباشرة بموضوع العنف المدرسي؛ لكي يكون " الجو المدرسي العام مهيئاً وصالحاً، بحيث يضع حاجزاً بين الطلاب والعنف"(١٧) ، وحتى يتحقق ذلك ينبغي:

١ – تنمية وتطوير الوعي التربوي على مستوى الأسرة والمدرسة، ويتم ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال إخضاع المعلمين والآباء لدورات اطلاعية وعلمية حول أفضل السبل في تربية الأطفال ومعاملتهم.

٢ – تحقيق الاتصال الدائم بين المدرسة والأسرة وإقامة ندوات تربوية خاصة بتنشئة الأطفال.

٣ – تعزيز وتدعيم تجربة الإرشاد الاجتماعي والتربوي في المدارس، وإتاحة الفرصة أمام المرشدين من اجل رعاية الأطفال وحمايتهم، وحل مشكلاتهم، ومساعدتهم في تجاوز الصعوبات التي تعترضهم.

٤ – ربط المدارس بمراكز الرعاية الاجتماعية والنفسية التي تحتوي على عدد من الاختصاصيين في مجال علم النفس والصحة النفسية والخدمة الاجتماعية، حيث تتم مساعدة الأطفال الذين يعانون من صعوبات كبيرة في تكيفهم المدرسي، وحل المشكلات السلوكية والنفسية التي يعجز المرشد عن إيجاد حلول لها، أي أن يكون مرجعية تربوية نفسية واجتماعية لكل محافظة، أو مدينة على الأقل.

الثاني: الأسلوب العلاجي:

وهو الأسلوب المفروض في حال تعثر الأسلوب الوقائي أو غيابه، وقد يصاحب الأسلوب العلاجي الأسلوب الوقائي، ومن إجراءات هذا الأسلوب تنمية الجوانب الإيجابية في شخصية المتعلمين الممارسين للعنف لتغليبها على الجوانب السلبية، وفضلاً عن ذلك لابد من خطط علاجية أخرى أهمها تقنيات تعديل السلوك عوض العقاب، والتوعية بطبيعة العنف السلبية وتقديمه كانحراف تربوي على ضوء المعرفة العلمية المقنعة، وتدريب المتعلمين الممارسين للعنف على أساليب حل المشكلات مهم أيضاً، كما أن مساندتهم سيكولوجيا من أجل استرجاع الثقة في ذواتهم من خلال تغيير مفاهيمهم ومعتقداتهم وتصوراتهم وتمثلاتهم الخاطئة حول قيم البطولة وجاذبية الشخصية يساعد على التخلص من آفة العنف، وكذلك شأن إظهار المزيد من الاهتمام بالمتعلمين ضحايا العنف كممارسين أو كضحايا له، واعتماد أساليب التوجيه والإرشاد من طرف

مختصين يرابطون داخل المؤسسات التربوية إلى جانب المربين بشكل دائم من شأنها أن تعالج العنف المدرسي، وعقد الندوات واللقاءات مع كل من لهم صلة بالمتعلمين الممارسين للعنف من أجل مقاربة قضايا من قبيل التنشئة الاجتماعية وحقوق الطفولة، والمراحل العمرية للنمو خصوصاً مرحلة المراهقة التي تعرف سورة العنف وعنفوانه كل ذلك يعالج العنف، وخلق النوادي داخل الفضاءات التربوية من أجل ممارسة مختلف الأنشطة المهذبة للسلوكات خصوصاً العنيفة، إلى جانب خلق برلمانات للمتعلمين من أجل إشاعة الممارسة الديمقراطية فيما بينهم علاج فعال أيضاً، ووضع برامج تسهم في محاصرة السلوكيات العنيفة لا مندوحة عنه لعلاج العنف، واعتماد أساليب المخيمات الصفية أو الفصلية التي تهدف إلى تهذيب السلوكيات العنيفة عن طريق الانخراط في العمل الجمعي والكشفي من شأنها أن تكون علاجاً مهماً أيضاً، واعتماد أساليب المهرجانات والمعارض التي تركز على معالجة ظاهرة العنف المدرسي علاج له أيضاً، واعتماد أساليب النشرات والملصقات المعالجة لظاهرة العنف تساهم في العلاج بشكل من الأشكال أيضاً، وكذلك الشأن بالنسبة لاعتماد المسابقات والمنافسات التي تهذب من سلوكات المتعلمين الميالين إلى العنف عن طريق إشاعة مفهوم ما يعرف بالروح الرياضية المهذبة للطباع العنيفة .

ومعلوم أن الأساليب العلاجية للعنف المدرسي في مجملها تقع مسؤوليتها على كاهل المتخصصين في مجال التوجيه والإرشاد، الذين لا بد لهم من إعداد البرامج الفعالة و الكفيلة بمعالجة هذه الآفة التي تؤثر بشكل كبير على التحصيل، ومن ثم تؤثر على المنظومة التربوية في بلادنا، وإلى جانب الجهات المختصة في الحقل التربوي لابد من الاستعانة بمؤسسات التربية الموازية مثل المساجد، ومنظمات المجتمع المدني خاصة التي تشتغل في الحقول الثقافية والاجتماعية والفكرية، ولابد من حملات إعلامية تضطلع بها وسائل الإعلام المختلفة من أجل المساهمة الفعالة في محاصرة ظاهرة العنف المدرسي .

الخاتمة:

بعد مختلف الدراسات الميدانية والنظرية، والأدلة الحياتية توصل العالم إلى أن العنف لا يمكن أن يؤدي إلى نمو طاقة التفكير والإبداع عند الطفل، فأقصى ما يحققه العنف هو استظهار بعض النصوص، وحتى هذا الأمر لا يتعدى أن يكون وقتياً، وهذا يعني تدمير الأجيال وإخفاقهم في المجالات كافة.

والعنف سبب من أسباب هدم شخصية الأطفال والطلاب بشكل عام، كما أنه يؤدي إلى عدم القدرة على التركيز وتشتيت الانتباه، وإلى عدم الاستقرار النفسي، والشعور الدائم بالخوف وعدم الأمان، واللجوء إلى الكذب، وآثار العنف ونتائجه السلبية أكثر من أن تعد أو تحصى، وهو كأسلوب مستخدم إلى الآن رغم أن القوانين المنظمة للعمل التربوي تمنع استخدام الضرب والعنف في المدارس، وتعتبر ذلك منافياً للأساليب

التربوية السليمة، حيث أصبحت النظرة الصائبة التي تؤيدها كثير من الأبحاث التربوية، أن المعلم المتمكن والمؤهل هو الذي يعتمد الحوار الموضوعي في توجيه طلابه وتعليمهم دون اللجوء إلى العنف، ثم إن ظاهرة التأخر الدراسي ليست مسؤولية الطفل وحده، وإنما مسؤولية الأسرة والمدرسة، وفي كل الأحوال فالعقاب ليس حلاً إنما التفهم والتشجيع ومعالجة الظروف المحيطة بالطالب هي الوسائل الناجعة التي يعتمد عليها كحلول موضوعية لأسباب تفشي ظاهرة العنف في مدارسنا، والتي تمثل أكبر إشكالية في الميدان التربوي.

وخلاصة القول أن التعليم رسالة إنسانية تربوية تتطلب معلمين مؤهلين يعشقون رسالتهم السامية ويسعون للرقي بمستوى التفكير لدى الطالب ونمو الشخصية المتكاملة لاسيما وإن هذه الأجيال تبنى عليها نهضة الأمة فهذا هو الاستثمار الأمثل، فالاستثمار في التعليم هو الاستثمار البشري النافع لبناء الأمة، ولنا في كتاب الله ومنهج رسول الله الطريق القويم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

المصادر

* القرآن الكريم

١ – د. محمد جواد رضا، صراع الدولة والقبلية في الخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧م، ص٩٦ كذلك راجع د. محمد عبد العزيز الذهب، التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي، بيت الحكمة، بغداد ، ٢٠٠٠م ، صفحات متفرقة.

٢ – محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٥٠ .

٣ – د. جميل صليبا، مستقبل التربية في العالم العربي، دار ابن خلدون، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، ص ١٠٩ .

٤ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، مادة عنف ص ٥١٦، الجزء الثاني، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٩٠٦م.

٥ – رواه مسلم في صحيحة من حديث عائشة برقم (٢٥٩٣).

٦ – رواه مسلم عن جرير، برقم (٢٥٩٢).

٧ – (الزهراني، سعد سعيد، السلوك العدواني لدى الأطفال، مجلة الأمن والحياة، الرياض، ع(١٦٠)، السنة الرابعة عشر، ص٤٠).

٨- الدكتور أبو الوفا محمد أبو الوفا إبراهيم، البعد الجنائي للعنف في الجرائم الإرهابية في القانون المقارن والفقه الإسلامي، ص١١، ورقة مقدمة إلى ندوة ظاهرة العنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب ١٧ - ١٨ مايو ٢٠٠٤م، جامعة قطر.

٩- محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، برقم ٧٠٧، ص ٥٩٩، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٨٦م.

١٠- محمد سلامة، إجرام العنف، مجلة القانون والاقتصاد، ص٢٧٠، السنة الرابعة والأربعون، العدد الثاني، ١٩٧٤م.

١١- محمد فتحي عيد، الإجرام المعاصر، ص٥٨، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٩٩٩م

١٢- آل رشود، سعد محمد سعد، اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية نحو العنف، (رسالة ماجستير) طبعة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، معهد الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٠، ص٣٨.

١٣- الطاهر، حسين محمد، الأساليب التربوية الحديثة في التعامل مع ظاهرة العنف الطلابي الكويت، مطبعة وزارة التربية الكويتية، إدارة التطوير والتنمية، ص٢.

١٤- العمري، صالح بن محمد آل رفيع، العود إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية، مطبعة الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ص٨٢.

١٥- السنوسي، نجاة، الأثر الذي يولده العنف على الأطفال ودور الجمعيات الأهلية في مواجهته، مطبعة عمان، ط١، ٢٠٠١م ،ص٦.

١٦- جوسن، طاهر عبد الجليل، الوقاية والتأهيل والمكافحة للجرائم المستحدثة، الندوة العلمية، الظواهر الإجرامية المستحدثة وسبل مكافحتها، عقدت بتونس في الفترة ١٤٢٠.١٤/٣/١٦هـ. ص٢٥٩. ٢٦١.

١٧- الطخيس، إبراهيم عبد الرحمن، دراسات في علم الاجتماع الجنائي، دار العلوم، الرياض، ط١ ص٢٣٢-٢٣٣.